**السنة الأولى ماستر، لسانيات عربية**

## المحاضرة01 علم اللغة الاجتماعي: تعريفه وقضاياه وظروف نشأته

**1- التعريف بعلم اللّغة الاجتماعي:** أو اللسانيات الاجتماعية (la sociolinguistique) هي «المجال الذي يدرس **العلاقة** بين اللّغة والمجتمع، وبين الاستعمالات المتنوعة للّغة والبنى الاجتماعية التي يعيش فيها مستعملو هذه اللغة»، وتهتم بكيفية تأثر اللغة بالعوامل الاجتماعية مثل الطبقة الاجتماعية، والجنس، والعمر، والموقع الجغرافي، والسياق الثقافي. يهدف هذا التخصص إلى فهم كيفية استخدام اللغة داخل المجتمعات وكيف تعكس التغيرات الاجتماعية والثقافية.

وقد أقرّ رائد اللسانيات البنوية "فرديناند دي سوسير" (Ferdinand De Saussure) في محاضراته بأهمية الجانب الاجتماعي للغة، قائلا «لم نعد ننظر إلى اللغة على أنّها كائن عضويّ يتطوّر بصورة مستقلة، بل هي نتاج عقل جماعي، لجماعة لغوية»[1]، ويؤكّد سوسير أنّ اللغة «**نظام اجتماعي**»، لكن البنويين يدرسون اللغة دراسة شكلية، وكبنية مغلقة معزولة عن الظروف المحيطة بها، وساد هذا التفكير إلى غاية الستينيات من ق60، حيث يظهر علم اللغة الاجتماعي الذي يزيل الكثير من الغموض عن طبيعة اللغة وطبيعة المجتمع.

لا يهتم علم اللغة الاجتماعي بالجانب النظري، بل بالجانب الميداني الذي يستهدف العلماء والباحثون من خلاله الخروج إلى الميدان لغرض إجراء تحريات ميدانية في مجتمعات مختلفة؛ منها مجتمعات متحضّرة، وأخرى نائية غريبة ؛ كالدراسات التي أنجزت حول الجماعات التي تقطن شمال غرب أمازون، ومجتمعات نائية أخرى مألوفة، من أجل دراسة أساليب كلام المجتمعات البدائية.

ويحدّد هدسون (Hudson) علم اللغة الاجتماعي في كونه «دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع (...) ولذلك فإنّ قيمة علم اللغة الاجتماعي تكمن في قدرته على إيضاح طبيعة اللغة بصفة عامة وإيضاح خصائص محددة للغة بعينها».

[1]- فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف غزيز، ط2، دار آفاق عربية، بغداد: 1985. ص23.

ويعرّف فيشمان (Fishman) علم اللغة الاجتماعي، بأنّه «علم يبحث التفاعل بين جانبيْ السلوك الإنساني، وهما: استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي لسلوك»، حيث إنّ اللغة والمجتمع في ارتباط وثيق وتفاعل مستمر، ويؤكّد فندريس (Joseph Vendryes) أنّ «في أحضان المجتمع تكوّنت اللغة. وُجدت يوم أحسّ الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم»، ومنذ ذلك الحين ارتبطت هذه الظاهرة اللغوية بالمجتمع الذي نشأت في أحضانه. ويقول علي عبد الواحد وافي في هذا الصدد: «تتأثر اللغة أيما تأثّر بحضارة الأمة ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها، واتجاهاتها العقلية، ونظرها إلى الحياة، وشؤونها الاجتماعية العامة... وما إلى ذلك، فكلّ تطوّر يحدث في ناحية من هذه النواحي، يتردّد صداه في أداة التعبير».

وقد شكّلت اللغة على مرّ العصور وعاءً للفكر ومرآة عاكسةً لثقافة المجتمع وكلّ أحواله وخاضعة، في الوقت ذاته، لشروطه، وتتغيّر تبعا لتغيّراته؛ وتتطوّر بتطوّره، ولكلّ ما يطرأ من تغيير في البنى الاجتماعية[2] صدى في اللغة، لذلك كرّس اللساني الاجتماعي الأمريكي وليام لابوف (W. Labov)

---

[2] - **البُنى الاجتماعية** هي النظم والعلاقات التي تُنظم المجتمع وتحدد كيفية تفاعل الأفراد داخله. تمثل هذه البُنى **الأطر** التي تنشأ فيها العلاقات الاجتماعية، مثل الأسرة، والاقتصاد، والتعليم، والسياسة، والدين. تؤثر هذه البُنى على سلوك الأفراد ومكانتهم الاجتماعية، وتحدد الأدوار التي يؤدونها في المجتمع.

**مكونات البُنى الاجتماعية:**

1. **المؤسسات الاجتماعية** :مثل الأسرة، المدرسة، الحكومة، والأسواق الاقتصادية، التي تنظم حياة الأفراد.
2. **الأدوار الاجتماعية** :مثل دور الأب، المعلم، العامل، والتي تحدد مسؤوليات الأفراد.
3. **المكانة الاجتماعية** :الوضع الذي يشغله الفرد داخل المجتمع بناءً على الطبقة الاقتصادية أو المستوى التعليمي أو المهنة.
4. **الأعراف والتقاليد** :القواعد غير المكتوبة التي تحكم سلوك الأفراد في المجتمع.

**العلاقة بين اللغة والبُنى الاجتماعية** وثيقة للغاية، لأن اللغة ليست مجرد وسيلة تواصل، بل هي انعكاس للتنظيم الاجتماعي والثقافي للمجتمع. حيث يتجلى ارتباط البُنى الاجتماعية باللغة كما يلي:

***الطبقة الاجتماعية وتأثيرها في اللغة:** تختلف اللهجات والأساليب اللغوية باختلاف الطبقات الاجتماعية، حيث تستخدم الفئات العليا عادةً لغة أكثر رسمية وقواعدية، بينما قد تميل الفئات الشعبية إلى اللهجات أو اللغة غير الرسمية.

- هذا ما درسه **ويليام لابوف**، الذي وجد أن الطبقة الاجتماعية تؤثر على النطق والمفردات وطريقة الكلام.

***المؤسسات الاجتماعية واللغة**

- **الأسرة :**أول بيئة يتعلم فيها الفرد اللغة، وتؤثر على مخزونه اللغوي وأسلوبه في التواصل.
- **التعليم :**يحدد مستوى إتقان اللغة الرسمية، كما يؤثر في مدى استخدام اللهجات المحلية أو اللغات الأجنبية.
- **الإعلام والسياسة :**يعيدان تشكيل اللغة من خلال نشر مصطلحات جديدة أو تعزيز أنماط لغوية معينة.

***اللغة كأداة لخلق الهوية الاجتماعية**

- تعكس اللغة الانتماء إلى فئة أو مجموعة معينة (مثل اللغة الشبابية، لغة المهن، أو لغة المهاجرين).

جهوده للبحث عن الآثار التي تحدثها العوامل الاجتماعية في البنى اللغوية، لا سيما التغيّر الطبقي، وبذل الكثير من اللسانيين الاجتماعيين جهودهم وتفكيرهم لإجراء دراسات ميدانية بحثا عن الحقائق الاجتماعية التي تزيد من فهمهم للظاهرة اللغوية وما يطرأ عليها من التغيير، وإبراز ذلك **التأثير** والتأثر الحاصل بين **البنية اللغوية** (بكل مستوياتها الصوتية، الصرفية، التركيبية والمعجمية)، **وبقية عناصر البناء الاجتماعي** باعتباره (أي البناء الاجتماعي) نسيجا متكاملا بعناصره الملتحمة فيما بينها لتشكل شبكة متماسكة.

2- **القضايا الأساسية لعلم اللغة الاجتماعي:** يهتم اللسانيون الاجتماعيون بقضايا متنوّعة، يرتبط أهمها بالجوانب المتعلّقة بالتغيرات اللغوية وعلاقة ذلك بالمتغيرات الاجتماعية، وما يتعلق بالظواهر السوسيولغوية **والتّنوّعات اللّغوية** التي يمكن أن تسود مجتمعا واحدا، ووضعية اللّغة المشتركة بين هذه التنوّعات، ويدرس اللسانيون الاجتماعيون مشكلات اللّهجات وخصائصها الصّوتية والنّحوية والدّلالية وتوزيعها داخل المجتمع، ودلالتها على المستويات الاجتماعية المختلفة، ويبحثون في العوائق التي يكون سببها هو الازدواجية اللغوية أو الثنائية أو التّعددية في المجتمع الواحد، وما يتركه هذا التّعدد من آثار سلبية في حياة المتعلّمين، واللّغة التي يتعلّمونها. كما يسعى هذا العلم لإيجاد الحلول للمشكلات اللّغوية في المجتمع، ومن أكثر المسائل التي يخوض فيها هذا العلم: الصراع اللغوي، وانقسام اللغات، والانتشار اللغوي، واللهجات، وانقراض اللغات، واحتكاك اللغات، والتداخل اللغوي وأسبابه، والتنمية اللغوية، والسياسة اللغوية والتخطيط اللغوي... الخ.

**2- العوامل المساعدة على نشأة علم اللغة الاجتماعي**: تطوّر علم اللغة الاجتماعي في الستينيات من القرن الماضي كرد فعل على **البنوية** بصفة عامة **والتّوليدية التحويلية** خاصة، حيث كان البنويون **يهتمون باللّغة بمعزل عن المجتمع والنّاطقين العاديين،** فكان الهاجس الأوّل لـ

- تُستخدم اللغة لتمييز الجماعات، مثل الفرق بين لغة الرجال والنساء في بعض المجتمعات.

**4.السلطة اللغوية وعدم المساواة**

- بعض اللغات أو اللهجات تُعد "مرموقة"، في حين يتم تهميش أخرى، مما يخلق فروقًا اجتماعية.
- في بعض المجتمعات، يفرض التخطيط اللغوي استخدام لغة معينة في المؤسسات، مما يؤثر على الفئات الناطقة بلغات أخرى.

(سوسير) هو تحديد موضوع اللّسانيات ومعرفة ماهيتها، أمّا تشومسكي فكان يدرس لغة المتكلّم المستمع المثالي الذي لا وجود له في أي مجتمع مهما كانت ظروفه.

كان تشومسكي يهدف من خلال «تبني نظرية دراسة اللّغة كظاهرة مستقلة عن غيرها، (...) إلى إيجاد بنية نحوية عامة وأساسية والتي تمكنّنا من تعليل نقاط التشابه في بنية العديد من اللّغات دون الحاجة إلى الرجوع إلى السيّاق الاجتماعي الذي تستخدم فيه هذه الأخيرة (...) أمّا بالنسبة للغويين الاجتماعيين، تكمن الحقيقة الأساسية في أنّ اللّغة – أيَّ لغة كانت - مليئة وحافلة بالاختلاف المتناسق، هذا الأخير الذي لا يمكن تعليله إلاّ من خلال اللجوء إلى دراسة القوى والوقائع الاجتماعية بعيدا عن دراسة اللغة في ذاتها». ومن هنا، فإنّ الاختلاف والتنوّع اللّغوي يشكل نقطة مهمة بالنسبة للّغويين الاجتماعيين، مهتمّين بالتغيّر الآني والتاريخي (الزمني) في الوقت ذاته، وربط التغيّرات اللغوية بالظروف الاجتماعية.

فقد أثبتت التحريات الميدانية التي أجراها لابوف وغيره من اللسانيين الاجتماعيين، أنّه لا وجود لأسلوب كلام واحد، ولا وجود لجماعة لغوية لا يختار أفرادها نوعيّات كثيرة من اللغات، وبالتالي، فإنّه، إذا كان ما يشغل اهتمام البنويين هو البحث عن القواعد المشتركة بين اللغات، فإنّ اللسانيين الاجتماعيين قد كرّسوا جهودهم بحثا عن الاختلاف والتنوّع في اللغة الواحدة.

وانطلاقا ممّا حققته المقاربة اللسانية الاجتماعية من نتائج مبهرة، يدعو هدسون إلى «تجنّب التصورات الخاطئة بأنّ اللغات أنظمة محكمة – كاملة من القواعد مغلقة على ذاتها» مؤكّدا أنّ اللغة تتكون من مجموعة من اللهجات، يمكن إعادة تقسيمها، حتى تصل إلى لهجة الفرد، أي الكلام الفردي، الذي لا يختلف من ناحية النوعية عن الجانب الأخرى من السلوك الاجتماعي، وأنّه لا يمكن وصف بعض جوانب بناء اللغة إلاّ بالرجوع إلى الكلام على أنّه سلوك اجتماعي في المقام الأوّل.

لقد نشأ علم اللغة الاجتماعي ليثبت أنّ اللغة هي أقوى رابط بين أفراد المجتمع، وأعظم قوة تجعل من الأفراد أعضاءً اجتماعيين، وهي الركن الأساس للهوية، ووسيلة مهمة يكيّف بها الفرد سلوكاته وتصرّفاته مع عادات وتقاليد وثقافة المجتمع، وأداة أساسية للتفاعل بين الأفراد والمجتمعات، وبالتالي، لا جدوى من دراسة اللغة وهي معزولة عن وظائفها التواصلية والتداولية والاجتماعية، ولا فائدة من القواعد النحوية إن لم تقترن بالأعراف الاجتماعية والمعايير المتحكّمة في توظيف تلك القواعد في السياقات الاجتماعية المختلفة.